بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تبارك وتعالى: **{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}** [سورة البقرة، 3].

إنّ البحث يرتكز على السؤال التالي، وهو: هل أنّ امتثال الأوامر القرآنية عبادةٌ فقط أم عبادةٌ ومعرفة؟

وهذا يستدعي عرضُ مقدمةٍ في المقام:

قد ذُكر في علم الألسُنيات أنّ لِلُّغة أدواراً ثلاثة:

الدورُ الأول: الدورُ التوصيفي، كوصف الحقائق الخارجية، كأنْ يصف الإنسان حرم أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) أو أنْ يصف حقيقة شخصيةِ الإنسان مثلاً.

الدورُ الثاني: الدورُ التحريضي، وهو عبارةٌ عن لغة القوانين والنصائح والإرشادات، فإنّ مضمون هذه اللّغة هو الحث والتحريض على عملٍ معين.

الدورُ الثالث: الدورُ الاحساسي، كلغة الشعراء التي تستخدم إثارة الخيال مِن أجل التأثير على العاطفة والإحساس عند الإنسان.

وقد بنى جملةٌ مِن الباحثين في لغة القرآن الكريم على هذه المعلومة الألسنية، وهي أنّ لغة القرآن الكريم أيضاً تتمثل في أدوارٍ ثلاثة، فهناك دورٌ توصيفي، وهناك دورٌ تحريضي، وهناك دورٌ إحساسي.

أمّا الدورُ التوصيفي في القرآن الكريم، فهو ما يبتني على الاهتمام بوصف الكون كما في قوله سبحانه وتعالى: **{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}** [سورة يس، 38 – 39].

أو حكاية التاريخ كما في قوله تبارك وتعالى: **{فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** [سورة مريم، 37].

وأمّا الدورُ التحريضي في القرآن الكريم، فهو عبارةٌ عن الأوامر والنواهي التي تضمنها القرآن كما في قوله تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}** [سورة المائدة، 1]، وكقوله عزّ وجلّ: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ}** [سورة المائدة، 6]، وكقوله سبحانه وتعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}** [سورة النساء، 1]، وكقوله تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}** [سورة الحجرات، 12].

وأمثال ذلك من الأوامر والنواهي، فهذا كُلّه يدخل تحت الدور التحريضي للغة القرآن الكريم.

وأمّا الدورُ الإحساسي في القرآن الكريم، فهو عبارةٌ عما يتكفل وصف الحقائق لكن وصفاً مجازياً؛ لإثارة الإحساس كما في قوله تبارك وتعالى: **{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}** [سورة البقرة، 275]، فإنّ تشبيه آكل الرِّبا بِمَن مسّه الشيطان فهو يتخبطُ في حركته ومشيته لغة إحساسية، أي: أنّ القرآن الكريم استعار صورةً شبه بها آكل الرِّبا مِن أجل إثارة الإحساس إلى رذالة الرِّبا وقذارة أكله.

وكما في قوله تبارك وتعالى: **{مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}** [سورة البقرة، 261]، فهذه أيضاً صورةٌ خياليةٌ استعارها القرآن الكريم في تشبيه الإنفاق بِمَن يزرع فيحصد ما زرع؛ مِن أجل إثارة الإحساس وتقريبه إلى عبادة الإنفاق.

فلغة القرآن الكريم لها أدوار ثلاثة: توصيفي، وتحريضي، وإحساسي.

والسؤال المطروح هنا: هل ينفصل الدورُ التحريضي في القرآن الكريم عن الدور المعرفي والتوصيفي؟

بمعنى: هل أنّ الهدف المنظور في الأوامر والنواهي القُرآنية ترويض العبد على الانقياد والخضوع لله سبحانه وتعالى كما هو ظاهر قوله تبارك وتعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}** [سورة الذاريات، 56]، أم أنّ الهدف المنظور في القرآن الكريم أنْ يكون امتثال الأمر والنهي ترويضاً على الانقياد مِن جهةٍ ونوعاً مِن أنواع المعرفة مِن جهةٍ أُخرى، فيكونُ الأمرُ القُرآني تمهيداً للعبادة وتعبيداً للمعرفة في عرضٍ واحدٍ؟

وتوضيحُ ذلك: أنّ الملاحظ في الآيات القرآنية المباركة التي تتحدث عن القُرآن الكريم وتَذْكُر أوصافه أنّها تجمعُ بين الوصف المعرفي والوصف التربوي في عرضٍ واحدٍ.

فمثلاً: قوله تبارك وتعالى: **{هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}** [سورة الأعراف، 203]، والمُراد مِن البصائر البراهين والحجج، فالقُرآن الكريم كما هو كتابُ هدايةٍ كذلك هو كتابُ براهينٍ وحججٍ وبصائر.

وكذلك قوله تبارك وتعالى: **{فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ}** [سورة الأنعام، 157]، ومِن المعلوم أنّ البيّنة طريقٌ مِن طُرق المعرفة، فهو طريقُ معرفةٍ وطريقُ هدايةٍ.

وأيضاً قوله تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا}** [سورة النساء، 164].

وكذلك قوله سبحانه وتعالى: **{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}** [سورة الجمعة، 2]، مما يعني أنّ القُرآن الكريم يجمعُ بين التزكية والتعليم.

وهذا يؤكد أنّه لا يوجد انفصام بين الدور التوصيفي والدور التحريضي في القرآن الكريم؛ فإنّ كلّ تحضيض في القُرآن فهو في واقعه يتضمن لوناً مِن ألوان التعليم والمعرفة، فهو أمرٌ مِن جهةٍ وتعليمٌ مِن جهةٍ أُخرى، وامتثاله عبادةٌ مِن جهةٍ ومعرفةٌ وتعلمٌ مِن جهةٍ أُخرى، لا بمعنى المعرفة الحصولية أي: أنّ الإنسان إذا امتثل الأمرَ القُرآني ارتسمت صورٌ في ذهنه فهذه معرفة حصولية، بل بمعنى المعرفة الحضورية أي: أنّ امتثال الأوامر القُرآنية ينقل الإنسان مِن شخصيةٍ ماديةٍ إحساسيةٍ إلى شخصيةٍ روحيةٍ ترتبطُ بالعالمِ الآخر، فالامتثال ليس مجرّد عبادة بل هو عبادةٌ ومعرفةٌ، ومعنى المعرفة

هو الاتصالُ بالعالم الآخر، وأيُّ معرفةٍ أعظم مِن المعرفةِ الحضورية وهي الشعورُ بالاتصالِ والارتباطِ بالعالمِ الآخر، فامتثالُ الأمر القُرآني هو خضوعٌ وانقيادٌ لله سبحانه وتعالى مِن جهةٍ وقربٌ مِن العالم الحقيقي مِن جهةٍ أُخرى، وبالقُرب ينال قسطاً مِن المعرفة الحضورية.

وهذه المعرفة الحضورية هي عبارةٌ عن الشعور بحقيقته الملكوتية التي فُطر عليها كما في قوله تعالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}** [سورة الروم، 30].

وهذا معناهُ أنّ للإنسان شخصيتين:

الشخصيةُ الأُولى: هي الشخصيةُ الماديةُ الإحساسيةُ، وهذه هي الشخصيةُ المنهمكةُ في الدنيا التي يعبرُ عنها القُرآن الكريم بقوله تعالى: **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}** [سورة آل عمران، 14].

والشخصيةُ الثانية: هي الشخصية الملكوتية التي فُطر عليها الإنسان، وهي التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: **{فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ}**.

والانتقال مِن الشخصيةِ الماديةِ لتلك الشخصيةِ الملكوتيةِ الفطريةِ عن طريقِ امتثالِ الأوامر الإلهية، فامتثال الأوامر الإلهية ليس مجرّد عبادة وخضوع، بل هو معرفة أي: إحساسٌ وشعورٌ بالشخصية الحقيقية للإنسان وهي الشخصيةُ التي فُطر عليها مِن قِبل الله تبارك وتعالى.

ويتضح ذلك بمجموعةٍ مِن الآيات المباركة التي تتحدث عن حقيقة الإنسان، حيث إنّ حقيقة الإنسان تمر بمراحل:

المرحلةُ الأُولى: مرحلةُ الإعداد لتكوين شخصيته الملكوتية الفطرية عن طريق الإلهام، كما في قوله تبارك وتعالى: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}** [سورة الشمس، 7 – 8]، فإنّ هذا الإلهام هو أوّل مرحلةٍ أُعدّ فيها الإنسان للرجوع إلى شخصيته الحقيقية.

كما في قوله تبارك وتعالى: **{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ}** [سورة البلد، 8 – 9] فإنّ هذه إشارةٌ إلى الشخصية الإحساسية، ثمّ قال تعالى: **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}** [سورة البلد، 10] وهذه إشارةٌ إلى الشخصية الملكوتية.

المرحلةُ الثانية: السيرُ نحو الملكوت، سواءً رضيّ الإنسانُ أم أبى فهو في حالةِ سيرٍ إلى ذلك العالم الآخر سواءً أحسّ بِهِ أم لَمْ يحسّ فهو في مجال السير إليه، قال الله تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ}** [سورة الإنشقاق، 6]، فإنّ الإنسان في حالةِ سيرٍ سريعٍ وسينتهي هذا السيرُ السريعُ بملاقاة عالم الملكوت الذي سيكتشف فيه شخصيته الحقيقية إنْ لَمْ يكتشفها في هذه الدار الدنيا.

المرحلةُ الثالثة: الموضعُ المعدّ لشخصية الإنسان الملكوتية، فإنّ الموضع المعدّ لشخصيته الحقيقية ليس في الدنيا، بل الموضع المعدّ لشخصيته الحقيقية في عالمٍ آخرٍ، وهو ما أشار إليه تبارك وتعالى بقوله: **{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا}** [سورة النساء، 69]، فإنّ هذا هو الموضعُ الحقيقي للإنسان وهذا هو الموضع الذي خلق الإنسانُ لكي يصل إليه باختياره.

وهذا يؤكد أنّ إطاعة الأوامر الإلهية لها صورتان:

الأُولى: الصورةُ الظاهرية، وهي العبادة الحسِّيَّة مِن الحركات والسكنات التي عبر عنها تبارك وتعالى بقوله: **{وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}** [سورة البقرة، 125].

والثانية: الصورةُ الواقعية، وهي أنّ الإنسان في حالة العبادة هو في حالةِ رِفقةٍ مع **{النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا}**، فهو بالعبادة يمهد لشخصيته الحقيقية التي خلق مِن أجلها ويهيئ الأرضية لتعبيد موضعه اللائق به في ذلك العالم.

لذلك فإنّ الإنسان عندما يمارسُ العبادة فهو يمارس دورين: تزكية وتعلم، تربية ومعرفة، فالعبادةُ تربيةٌ وترويضٌ على الانقياد والخضوع لله تبارك وتعالى، وهي في نفس الوقت صلة بالعالم الآخر والتعرف على ذلك العالم الذي خلق الإنسان مِن أجل أنْ يهيئ موضعه اللائق به فيه.

وبعد الفراغ مِن هذه المقدمة يتجه البحثُ حول مدلول الفقرة الشريفة مِن الآية المباركة وهي قوله تبارك وتعالى: {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} [سورة البقرة، 3].

وهنا أسئلةٌ ثلاثة حول قوله تعالى: {وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}.

السؤالُ الأوّل: ما هو معنى الإقامة للصلاة؟ وهل أنّها تختلف عن الصلاة نفسها؟

حيث نرى أنّ القرآن الكريم تارةً يُعبرُ بالإقامة كما في قوله تبارك وتعالى: **{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}** [سورة المائدة، 55]، وتارةً أُخرى يُعبرُ بالمصلين كما في قوله تبارك وتعالى: **{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}** [سورة المؤمنون، 9]، وقوله تبارك وتعالى: **{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ}** [سورة المدثر، 42 – 43]، فما هو الفرق بين الصلاة وإقامة الصلاة، أي: ما الفرق بين "يقيمون" وبين "المصلين"؟

والجوابُ عن ذلك: إنّ الإقامة في اللغة مشتقة مِن القيام وهو عبارة عن الثبات وعدم السقوط، كما يُقال: جدارٌ قائمٌ أي: ثابت.

وقد استخدم القرآن الكريم مادة القيام تارةً في وصف الدين، وتارةً في وصف العبادة، وتارةً في وصف الصلاة.

أمّا في وصف الدين، فقد وصفَ القرآنُ الدينَ بالقيام في قوله تبارك وتعالى: **{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}** [سورة الشورى، 13]، وقال تبارك وتعالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا}** [سورة الروم، 30]، ولَمْ يقل: توجه للدين، وهذا هو المنظور في قوله تبارك وتعالى: **{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}** [سورة هود، 112] أي: اِجعل تدينك قائماً لا منحرفاً ولا ساقطاً، وقال تبارك وتعالى: **{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}** [سورة الشورى، 52] أي: صِرَاطٍ قائم لا عوج فيه ولا سقوط فيه.

وهذا يعني تطبيق الدين تطبيقاً ثابتاً لا عوج فيه ولا انحراف.

وأمّا في العبادة، فقد وصفَ القرآنُ العبادةَ بالقيام فقال تبارك وتعالى: **{جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ}** [سورة المائدة، 97] أي: عبادةً قائمة، والعبادةُ القائمة هي العبادة الثابتة التي لا تذبذب فيها ولا تزلزل.

وأمّا في الصلاة بوجهٍ أخص، فقد وصف القرآنُ الصلاةَ بالقيام، وقد أشار إلى ذلك تبارك وتعالى في عدّة آيات، كما في قوله تبارك وتعالى: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}** [سورة طه، 14].

فما هو المقصود بإقامة الصلاة؟

والجوابُ عن ذلك: إنّ إقامة الصلاة تتمثل في نقل الصلاة مِن الصورة اللفظية وهي الأذكار والقراءة والصورة الحركية وهي الركوع والسجود إلى حقيقتها الجوهرية.

والحقيقة الجوهرية للصلاة تعني تجسيد كمالاتٍ ثلاثة.

فإنّ الصلاة عبارةٌ عن تجسيد ثلاثة كمالات:

الكمالُ الأوّل: الكمالُ الروحي.

وهو المعبر عنه في قوله تعالى: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}** [سورة طه، 14]، أي: أنّ الغرض مِن إقامة الصلاة أنْ يكون الله حاضراً عنده، متمثلاً في جوانحه لا في جوارحه فقط، وقد قال الله تبارك وتعالى أيضاً: **{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}** [سورة المؤمنون، 1 – 2] في مقابل الذين أفرغوا الصلاة عن حقيقتها الروحية وقصروها على الصورة الظاهرية اللفظية والحركية وهم الذين أشار إليهم تبارك وتعالى بقوله: **{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ}** [سورة الماعون، 4 – 5].

وقد ورد في الحديث الشريف كما في الكافي: (**أَبُو دَاوُدَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا (عليه السلام) قَالَ: الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ**). [الكافي، للشيخ الكليني، دار الحديث، ج6، كتاب الصلاة، الباب 1 باب فضل الصلاة، ح6].

فالكمالُ الروحي هو عبارةٌ عن استحضار العظمة الإلهية واستحضار الرقابة الربانية بأنْ تتحول الصلاة إلى عملية استحضار واستشعار للحضور الإلهي، وهذا هو أوّل إقامةٍ للصلاة.

الكمالُ الثاني: الكمالُ الخُلقي.

وهو الذي يعني المدّد التربوي للصلاة مِن خلال تحول الصلاة إلى مجموعةٍ مِن القيم الفاضلة، كما هو المشار إليه في قوله سبحانه وتعالى: **{إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ}** [سورة المعارج، 19 – 23]، أي: أنّ الصلاة الحقيقية ليست هي مجرّد حركات وسكنات بل هي إرادة داخلية ووعي تربوي يمنع الإنسان من الجزع عند حلول النوائب والمصائب **{إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا}**، ويكون مفتاحاً للبذل والعطاء في مقابل البُخل والقبض كما قال تعالى: **{وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}** فالصلاةُ تمنعُ الجزع وترفعُ البُخل، وهذا

معنى أنّ إقامة الصلاة هي عبارةٌ عن مجموعةٍ مِن القيم الأخلاقية التي يستقيها الإنسان مِن خلال ممارسة الصلاة.

الكمالُ الثالث: الكمالُ السلوكي المترجم عملاً.

وهذا الكمالُ هو الموصوف في قول الله سبحانه وتعالى: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ}** [سورة العنكبوت، 45]، فهي الرصيد الرادع عن الوقوع في هاويةِ الرذائل والقبائح.

والنتيجة: أنّ إقامة الصلاة غيرُ الصلاة، وإقامةُ الصلاة تعني تجسيد هذه الكمالات الثلاثة، وبما أنّ إقامة الصلاة هي عبارة عن تجسيد هذه الكمالات الثلاثة التي ذكرناها بدرجاتٍ متفاوتة جاءَ هذا الوصف في أغلب نصوص زيارات الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد وردتْ هذه العبارة الشريفة في أغلب النصوص الواردة عن المعصومين (عليهم السلام) في زيارة سيد الشهداء الإمام الحُسين بن علي (صلوات الله وسلامه عليه): (**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاةَ وآتَيْتَ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتَ بِالمَعْروفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ المُنْكَر**). [كامل الزيارات، تأليف الشيخ الأقدم أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق: الشيخ جواد القيّومي، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، الباب 79 باب زيارات الحسين بن علي (عليهما السلام)، الحديث: 3 و 5 و 7 و 8 و 9 و10 و 13، وغيرهم].

أي: "**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاةَ**" بتجسيد كمالاتها الثلاثة بأعلى درجاتها وأجلى صورها.

ومِن هنا يتبين ما سبق ذكره مِن أنّ امتثال الأوامر الإلهية ليس مجرّد تربية بل هو معرفة، والمعرفةُ تعني الرجوع إلى الشخصية الحقيقية للإنسان، والرجوعُ إلى الشخصية الحقيقية للإنسان عبارةٌ عن استقاء هذه الكمالات الثلاثة التي خُلق الإنسان مِن أجل الوصول إليها كما قال الله تبارك وتعالى: **{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}** [سورة الملك، 2].

السؤالُ الثاني: ما هو الوجه في تعقيب الإيمان بالغَيْب بإقامة الصلاة، حيثُ قال الله عزّ وجلّ: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}** [سورة البقرة، 3] دون العبادات الأُخرى كالصوم والحج والزكاة، بل أعقبَ الإيمان بالغَيْب مباشرةً بإقامة الصلاة؟

والجوابُ عن ذلك: ما مضى بيانه في المقدمة، مِن أنّ الصلاة عبادةٌ ومعرفةٌ، فهي أوسع الأبواب للانفتاح على عالم الغَيْب، فإنّ الإنسان إذا أراد أنْ يشعر بِهِ فأوسع الأبواب للانفتاح على ذلك العالم هو بابُ الصلاة، وقد أشار إلى ذلك تبارك وتعالى بقوله: **{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}** [سورة طه، 14]، وقال تبارك وتعالى: **{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}** [سورة فاطر، 10]، وأجلى مثالٍ للكَلِم الطَّيِّب والعَمَل الصّالح هو الصلاة، وقال تبارك وتعالى: **{وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا}** [سورة الفرقان، 63 – 64]، فإنّ الوصف مشعرٌ بالتعليل، أي: لأنّهم يعبدون الرحمن حصلتْ لهم هذه الصفات، وقال تبارك وتعالى: **{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}** [سورة الأعراف، 55]، وقال سبحانه وتعالى: **{وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ}** [سورة الأعراف، 205] أي: أنّ الصلاة قربٌ حقيقي مِن الله عزّ وجلّ متضمنٌ للتضرع والخوف ومتضمنٌ للتضرع حال الاستتار والخلوة مع الله تبارك وتعالى، وهو الفرق بين قوله: (خِيفَةً) وقوله (خُفْيَةً).

السؤالُ الثالث: ما هو الوجهُ في تقديم الصلاة على الزكاة في سائر الآيات القرآنية، كقوله تبارك وتعالى: **{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}** [سورة المائدة، 55]، وكقوله تعالى: **{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ}** [سورة الأنبياء، 73]؟

والجوابُ عن ذلك: أنّ الصلاةَ الحقيقية هي انقطاعٌ إلى الله عزّ وجلّ، والانقطاعُ إلى الله تعالى يعني التعلق بِهِ، والتعلق بِهِ تعالى يمحو كلّ التعلقات الأُخرى كالتعلق بالمال والتعلق بزخارف الدُنيا، فالصلاةُ التي هي تعلقٌ بالله تعالى تمحو التعلق بالمال وتكونُ وسيلةً للإقبال على الإنفاق والعطاء والبذل، لذلك كانت الصلاة مقدمة للزكاة وطريقاً للإنفاق في سبيل الله تبارك وتعالى طوعاً وحباً، ويدل على ذلك الربط بينهما في عدّةٍ مِن الآيات القرآنية المباركة كما في قوله تعالى: **{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ}** [سورة المدثر، 42 – 44]، وقال تبارك وتعالى: **{وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ}** [سورة التوبة، 54] أي: لأنّهم لَمْ

ينقطعوا في صلاتهم إلى الله تبارك وتعالى بل مارسوا الصلاة كسلاً لذلك لَمْ تكن صلاتهم طريقاً للإنفاق عن حب وعن طوع، مما يؤكد على الربط الوثيق والحقيقي بين الصلاة والإنفاق، بل وكون الصلاة تمهيداً وتعبيداً لطريق الإنفاق.

والحمد لله رب العالمين